الفصل الثالث

- الحذر من الغضب وذكر علاجه.
- بيان علاج الغضب بعد هيجانه.
- تجارة رابحة: ذبح الغضب.
- مجاهدة الغضب بالصبر والاحتمال.
- الحث على كظم الغيظ.
- الحلم والأناة والرفق.
- العفو والإحسان والتواضع.
- فضل محاسن الأخلاق.

الحذر من الغضب وذكر علاجه

يحذرنا ـ سبحانه وتعالى ـ من سوء الغضب في قوله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿ والَّذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ (الشورى: ٣٧).

أي: سجيتهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس، ليس سجيتهم الانتقام من الناس، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ ما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمات الله، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس الشديد بالصُرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[(١)].

* وعنه رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني: قال: «**لا تغضب**»، فردد مرارًا قال: «**لا تغضب**»[(٢)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري.

* وعن عدي بن ثابت حدثنا سليمان بن صُرَد قال: اسْتَبَّ رجلان عند النبي ﷺ ونحن عنده جلوس وأحدهما يسب صاحبه مغضبًا قد احمر وجهه فقال النبي: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يَجِدْ، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، فقالوا للرجل: ألا تسمع ما يقول النبي ﷺ؟، قال: إني لست بمجنون.

* ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، أي: إذا قاربهم الغيظ كظموه بمعنى كتموه فلم يعملوه، وعفوا مع ذلك عمن أساء إليهم، والغيظ: هو الغضب المحيط بالكبر، وهو أشد الحنق، وفي التنزيل: قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران: ١١٩)، ـ أي يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودة وهم في الباطن على أشد الغيظ والحنق من الحسد ـ فلا يكون الغيظ إلا

بوصول مكروه إلى المغتاظ، وقد يقام الغيظ مقام الغضب في حق الإنسان فيقال: اغتاظ من لا شيء كما يقال: غضب من لا شيء.

كما يحذرنا - سبحانه وتعالى - من الوقوع في الغضب بالاستعاذة به - سبحانه وتعالى - فيقول - جَلَّ شأنه -: ﴿ وإمَّا ينزغنَّك من الشَّيْطان نزْغٌ فاسْتعذْ بالله إنَّهُ هُوَ السَّميعُ الْعَليمُ ﴾ (فصلت:٣٦)، أي: إن شيطان الجن لا حيلة له إذا وسوس ليشعل نار الغضب أو وسوس ليدفع بابن آدم إلى المعصية، إلا الاستعاذة بخالقه، فإذا استعذت بالله والتجأت إليه كفه عنك ورد كيده.

ويحذرنا أيضًا - عَزَّ وَجَلَّ - من أن نتبع مسالك الشيطان وما يأمر به، فيقول - سبحانه وتعالى -: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذين آمنوا لا تتبعوا خُطُوات الشَّيْطان ومن يتَّبعْ خُطُوات الشَّيْطان فإنَّهُ يأْمُرُ بالْفحْشاء والْمُنكر ﴾ (النور:٢١)، وفي سورة البقرة: ﴿ ولا تتَّبعُوا خُطُوات الشَّيْطان إنَّهُ لكُمْ عدُوٌّ مُّبينٌ ﴾ (البقرة:١٦٨)، وقال

تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٦٩).

※ قال مطرف: أغشُّ عباد الله لعبيد الله: الشيطان.

※ وقال عيسى عليه السلام ليحيى بن زكريا ـ عليهما السلام ـ: «**إني معلمك علماً نافعاً .. لا تغضب**»، فقال: وكيف لي أن لا أغضب؟، قال: «**إذا قيل لك ما فيك فقل: ذنب ذكرته أستغفر الله منه، وإن قيل لك ما ليس فيك فاحمد الله إذ لم يجعل فيك ما عيرت به، وهي حسنة سيقت إليك**».

※ وقال لقمان لابنه: «إذا أردت أن تؤاخي أخاً فأغضبه، فإن أنصفك وهو مغضب وإلا فاحذره».

※ وفي الحديث: ثلاث أقسم عليهن: «**ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، ومن تواضع لله رفعه الله**».

وخرَّج الإمام أحمد من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال:

قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «لا تغضب»، قال الرجل: ففكرت حين قال النبي ﷺ ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله وفي هذا دليل على أن الغضب جماع الشر، وأن التحرز منه جماع الخير، فقد خرَّج الطبراني من حديث أبي الدرداء قال: قلت: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: «لا تغضب ولك الجنة»، معناه: لا تنفذ غضبك، وليس النهي راجعًا إلى نفس الغضب لأنه من طباع البشر ولا يمكن للإنسان دفعه.

بيان علاج الغضب بعد هيجانه

ما تقدم هو حسم لمواد الغضب حتى لا يهيج، فإذا جرى سبب هيجه، فعنده يجب التثبيت، حتى لا يضطر صاحبه إلى العمل به على الوجه المذموم، وإنما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل، أما العلم فهو أمور:

أحدها ـ أن يتفكر في الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ، والعفو والحلم والاحتمال، كما جاء في البخاري

من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً استأذن على عمر رضي الله عنه، فأذن له، فقال له: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر رضي الله عنه، حتى هم أن يوقع به، فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين، إن الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ.

الثاني ـ أن يخوف نفسه عقاب الله تعالى، وهو أن يقول: قدرة الله عليَّ أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت فيه غضبي لم آمن أن يمضي الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ غضبه عليَّ يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو.

* وقد قال الله تعالى في حديث قدسي: «يا ابن آدم اذكرني عند الغضب أذكرك حين أغضب، ولا أمحقك فيمن أمحق».

والثالث- أن يحذر نفسه عاقبة العداوة، والانتقام، وتشمير العدو في هدم أعراضه، والشماتة بمصائبه، فإن الإنسان لا يخلو عن المصائب، فيخوف نفسه ذلك في الدنيا، إن لم يخف من الآخرة، وهذا هو تسليط شهوة على غضب، ولا ثواب عليه، لأنه تقديم لبعض الحظوظ على بعض، إلا أن يكون محذوره أن يتغير عليه أمر يعينه على الآخرة، فيثاب على ذلك.

والرابع - أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب على ما تقدم، وأنه يشبه حينئذٍ القلب الضاري، والسبع العادي، وأنه يكون مجانبًا لأخلاق الأنبياء والعلماء في عاداتهم، لتميل نفسه إلى الاقتداء بهم.

الخامس - أن يتفكر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام، مثل أن يكون سبب غضبه أن يقول له الشيطان: إن هذا يحمل منك العجز، والذلة والمهانة، وصغر النفس، وتصير حقيرًا في أعين الناس، فليقل لنفسه: تأنفين من

الاحتمال الآن، ولا تأنفين من خزي يوم القيامة، والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك، وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس، ولا تحذرين من أن تصغري عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين، وينبغي أن يكظم غيظه، فذلك يعظمه عند الله تعالى، فما له وللناس؟، أفلا يحب أن يكون هو القائم يوم القيامة إذا نودي: ليقم من وقع أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا، فهذا وأمثاله ينبغي أن يقرره على قلبه.

السادس ـ أن يعلم أن غضبه إنما كان من شيء جرى على وفق مراد الله تعالى، لا على وفق مراده، فكيف يقدم مراده على مراد الله تعالى، هذا ما يتعلق بالقلب.

أما المعالجة العملية:

فينبغي لها السكون، والتعوذ، وتغيير الحال، وإن كان قائمًا جلس، وإن كان جالسًا اضطجع، قد أمرنا بالوضوء أيضًا عند الغضب، وهذه الأمور وردت في الأحاديث،

فقد كان النبي ﷺ يأمر من غضب بتعاطي أسباب تدفع عنه الغضب وتسكنه، ويمدح من ملك نفسه عند غضبه.

* خرَّج الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال في خطبته: «ألا إن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أفما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه، فمن أحس من ذلك بشيء فليلزق بالأرض».

* وخرَّج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»، وقد قيل إن المعنى في هذا أن القائم متهيء للانتقام والجالس دونه في ذلك، والمضطجع أبعد منه، فأمره بالتباعد عن حالة الانتقام، وقيل عن الجلوس والاضطجاع: إنما أمر بذلك ليقرب من الأرض التي منها خُلق، فيذكر أصله فيذل، ويمكن أن يكون ليتواضع بذله، لأن الغضب ينشأ من الكبر، بدليل ما

روى أبو سعيد عن النبي ﷺ أنه ذكر الغضب، وقال: «من وجد شيئًا من ذلك؛ فليلصق خده بالأرض».

وأما الحكمة في الوضوء عند الغضب فقد بينها في الحديث الذي خرجه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عروة بن محمد السعدي أنه كلمه رجل بكلام، فغضب غضبًا شديدًا، فقام فتوضأ ثم قال: حدثني أبي عن جدي عطية وكانت له صحبة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفئ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ».

* وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إذا غضب أحدكم فليسكت»، قالها ثلاثًا، وهذا أيضًا دواء عظيم للغضب، لأن الغضبان يصدر منه في حال غضبه من القول ما يندم عليه في حال زوال غضبه كثيرًا من السباب وغيره مما يعظم ضرره، فإذا سكت زال هذا الشر كله عنه.

* وما أحسن قول مورق العجلي ـ رحمه الله ـ: ما امتلأت غضبًا قط، ولا تكلمت في غضب قط بما أندم عليه إذا رضيت.

وغضب يومًا عمر بن عبد العزيز، فقال له ابنه عبد الملك ـ رحمهما الله ـ: أنت يا أمير المؤمنين مع ما أعطاك الله وفضلك به تغضب هذا الغضب؟! فقال له: أو ما تغضب يا عبد الملك؟، فقال له عبد الملك: وما يغني عني سعة جوفي إذا لم أردد فيه الغضب حتى لا يظهر؟.

* وقيل: غضب المهدي على رجل، فدعا بالسياط، فلما رأى «شبيب» شدة غضبه، وإطراق الناس، فلم يتكلموا بشيء، قال: يا أمير المؤمنين، لا تغضبن لله بأشد مما غضب لنفسه، فقال: خلوا سبيله .. فهؤلاء قوم ملكوا أنفسهم عند الغضب فامتازوا بالقوة والشدة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند

الغضب»، وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «ما تعدون الصرعة فيكم؟»، قلنا: الذي لا تصرعه الرجال، قال: «ليس ذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب».

* وفي ذلك يقول ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (الشورى: ٤٣).

* ومن هديه ﷺ في الدعاء عند الغضب ما ذكره ابن عساكر عن عائشة ؓ أن رسول الله ﷺ: كان إذا غضبت أخذ بأنفها وقال: «يا عويش: قولي: اللهم رب النبي محمد، اغفر ذنبي، واذهب غيظ قلبي، وآجرني من مضلات الفتن»، وكان من دعائه ﷺ: «أسئلك كلمة الحق في الغضب والرضا».

زوال الغضب بالرياضة وغيرها:

* يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين): اعلم أنه مادام الإنسان يحب شيئًا ويكره شيئًا، فلا

يخلو من الغيظ والغضب، لأنه من مقتضى الطبع، إلا أنه قد تفيد الرياضة في محو قوته، وذلك بالمجاهدة وتكلف الحلم والاحتمال مدة حتى يصير الحلم والاحتمال خلقًا راسخًا. فالرياضة ليست لينعدم غلظ القلب، لأنه غير ممكن، ولكن ليستعمله على حد يستحبه الشرع ويستحسنه العقل، وذلك بكسر ثورته وتضعيفه، حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن، وينتهي ضعفه إلى أن لا يظهر أثره في الوجه، وقد يتصور فقد الغيظ بغلبة نظر التوحيد، أو بأن يعلم أن الله يحب منه أن لا يغتاظ، فتطفئ شدة حبه لله تعالى غيظه، أو بأن يشتغل القلب بضروري أهم من الغضب، فلا يكون في القلب متسع للغضب، لاشتغاله بغيره، فإن استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الإحساس بما عداه. اهـ.

❊ ❊ ❊

تجارة رابحة
ذبح الغضب

※ عن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أنه سبَّه رجل فرمى إليه بخميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة:

١ ـ الحلم.

٢ ـ وإسقاط الأذى.

٣ ـ وتخليص الرجل مما يبعده من الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ.

٤ ـ وحمله على الندم والتوبة.

٥ ـ ورجوعه إلى المدح بعد الذم.

ـ اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير.

※ وسب رجل ابن عباس رضي الله عنهما، فلما فرغ قال: يا عكرمة، هل للرجل حاجة فتقضيها له؟، فنكس الرجل رأسه واستحى.

* وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أشهد أنك من المنافقين، فقال له: ليس تُقبل شهادتك.

* وقال رجل لأحد الحكماء: والله لأسبنك سبًا يدخل معك في قبرك، فقال: معك يدخل، لا معي.

* وضرب رجل قدم حكيم فأوجعه، فلم يغضب، فقيل له في ذلك، فقال: أقمته مقام حجر تعثرت به، فذبحت الغضب.

* وقال المعتمر بن سليمان: كان رجل ممن كان قبلكم يغضب، فيشتد غضبه، فكتب ثلاث صحائف، وأعطى كل صحيفة رجلاً، وقال للأول: إذا غضبت فأعطني هذه، وقال للثاني: إذا سكن بعض غضبي فأعطني هذه، وقال للثالث: إذا ذهب غضبي فأعطني هذه، فاشتد غضبه يومًا فأُعطى الصحيفة الأولى، فإذا فيها: ما أنت وهذا الغضب؟!، إنك لست بإله! إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضًا؛ فسكن بعض غضبه، فأُعطى الثانية، فإذا

فيها: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، فأعطى الثالثة، فإذا فيها: خذ الناس بحق الله، فإنه لا يصلحهم إلا ذلك، أي: لا تعطل الحدود.

* خرج ابنٌ لعمر بن عبد العزيز وهو صغير يلعب مع الغلمان، فشجه[1] صبي منهم فاحتملوا الصبي الذي شج ابنه وجاءوا به إلى عمر، فخرج إليهم فإذا امرأة تقول: إنه ابني وإنه يتيم، فقال لها عمر: هوِّني عليك، والتفت إلى الصبي، وقال: أله عطاء في الديوان؟، فقالت: لا، قال: فاكتبوه في الذرِّية، فقالت زوجته فاطمة: أتفعل هذا به وقد شج ابنك؟، فعل الله به وفعل .. المرة الأخرى يشج ابنك ثانية، فقال لها: ويحك إنه يتيم وقد أفزعتموه.

---

(١) **شجه**: أصابه وجرحه في رأسه.

مجاهدة الغضب

في التحلي بالصبر، واحتمال الأذى

من محاسن أخلاق المسلم التي يتحلى بها: الصبر، واحتمال الأذى في ذات الله تعالى، أما الصبر: فهو حبس النفس على ما تكره، واحتمال المكروه بنوع من الرضا والتسليم، فالمسلم يحبس نفسه على ما تكرهه من عبادة الله وطاعته، ويلزمها بذلك إلزامًا، ويحبسها دون معاصي الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ فلا يسمح لها باقترافها، ولا يأذن لها في فعلها، ويحبسها على البلاء إذا نزل بها فلا يتركها تجزع ولا تسخط، إذ الجزع ـ كما قال الحكماء ـ على الفائت: آفة، وعلى المتوقع: سخافة، والسخط على الأقدار: معاتبة لله الواحد القهار، وهو في كل ذلك مستعين بذكر الله تعالى بالجزاء الحسن على الطاعات، وما أعد لأهلها من جزيل الأجر، وعظيم المثوبات، وبذكر وعيده تعالى لأهل بغضه وأصحاب معصيته، من أليم العذاب، وشديد العقاب،

ويتذكر أن أقدار الله جارية، وأن قضاءه تعالى عدل، وأن حكمه نافذ، صبر العبد أم جزع، غير أنه مع الصبر الأجر، ومع الجزع الوزر. ولما كان الصبر وعدم الجزع من الأخلاق التي تكتسب وتنال بنوع من الرياضة والمجاهدة، فالمسلم بعد افتقاره إلى الله تعالى أن يرزقه الصبر، فإنه يستلهم الصبر بذكر ما ورد فيه من أمر، وما وعد عليه من أجر.

كقوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)، وقوله: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ (البقرة: ٤٥)، وقوله: ﴿ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ (النحل: ١٢٧)، وقوله: ﴿ واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ (لقمان: ١٧)، وقوله: ﴿ وبشر الصابرين (١٥٥) الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون (١٥٦) أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧)، وقوله: ﴿ ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ (النحل: ٩٦)، ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ (الزمر: ١٠).

※ ومن ذلك قول الرسول ﷺ: «الصبر ضياء»[(١)]، وقوله: «ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يصبر يصبره الله. وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر»[(٢)].

※ وقوله: «عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن. إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»[(٣)].

※ وقوله ﷺ لابنته وقد أرسلت إليه تطلب حضوره إذ ولدها قد احتضر فقال لرسولها: «فلتصبر ولتحتسب»[(٤)].

※ وقوله: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء. وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم. فمن رضي فله الرضا. ومن سخط فله السخط»[(٥)].

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه مسلم.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه الترمذي وابن ماجه.

وأما احتمال الأذى: فهو الصبر ولكنه أشق، وهو بضاعة الصديقين، وشعار الصالحين، وحقيقته أن يؤذى المسلم في ذات الله تعالى فيصبر ويتحمل فلا يرى السيئة بغير الحسنة، ولا ينتقم لذاته، ولا يتأثر لشخصيته مادام ذلك في سبيل الله، ومؤديًا إلى مرضات الله، قال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، وأسوته في ذلك المرسلون والصالحون إذ يندر من لم يؤذ منهم في ذات الله، ولم يبتلَ في طريقه إلى الوصول إلى الله.

* قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبيًا من الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»(١).

(١) متفق عليه.

هذه صورة من صور احتمال الأذى كانت لرسول الله ﷺ، وصورة أخرى ذكرناها له ﷺ عندما قَسَّمَ يومًا مالاً، فقال أحد الأعراب: قسمة ما أريد بها وجه الله، فبلغ ذلك رسول الله فاحمرت وجنتاه، ثم قال: «يرحم الله أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إليَّ، وأحلم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله تعالى ظهير عليهم مادمت على ذلك»(٢)، وكان بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: ما كنا نعد إيمان الرجل إيمانًا إذا لم يصبر على الأذى!

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

* وقال خباب بن الأرت ﷺ: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تنتصر لنا، ألا تدعو لنا، فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دين الله»[١]، وقص الله لنا عن المرسلين وحكى عنهم قولهم وهم يتحملون الأذى فقال: ﴿ وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون ﴾ (إبراهيم: ١٢).

على ضوء هذه الصور الناطقة، والأمثلة الحية من الصبر والتحمل يعيش المسلم صابرًا محتسبًا متحملاً، لا يشكو ولا يتسخط ولا يغضب، ولا يدفع المكروه بالمكروه، ولكن يدفع السيئة بالحسنة ويعفو ويصبر ويغفر: ﴿ ولمن صبر

(١) رواه البخاري.

وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (الشورى: ٤٣)، ويبشر ـ سبحانه وتعالى ـ الصابرين على ما أصابهم بقوله: ﴿وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمي الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ (الحج: ٣٤-٣٥)، ﴿وبشر المخبتين﴾: المطمئنين إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والمتواضعين له، أو المخبتين الذين لا يظلمون، وإذا ظلموا لم ينتصروا.

ويصفهم ـ سبحانه وتعالى ـ بأنهم إذا ذكر الله خافت منه قلوبهم، والصابرون على ما أصابهم من المصائب، والمؤدون حق الله فيما أوجب عليهم من أداء الفرائض، وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهليهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاويجهم، ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله. ولقد تعلمنا تحت مظلة الإسلام أن جارك إذا لم يحافظ على حقوقك وأضاعها فلا تعامله بالمثل وتأكل عليه حقوقه، وربما كان تصرف الجار متعمدًا

بإيذائك، فلتجاهد ذلك بالتحلي بالصبر واحتمال الأذى، ولتكن أسلحتك الدفاعية الكرم وحسن الخلق متمثلة في إلقاء السلام والزيارات المتكررة .. إلى غير ذلك مما يكون له أكبر الأثر في هداية هذا الجار، وعليك التجربة لتتأكد من سحر هذه النصيحة الإسلامية، وتكون بذلك قد أقمت دعوة بطريق غير مباشر، ولتتذكر حديث رسول الله ﷺ: «والله لا يؤمن - قالها ثلاثًا - من لم يأمن جاره بوائقه».

ثواب الصبر

في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر: ١٠).

* عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «يؤتى بالشهيد يوم القيامة، فيوقف للحساب، ثم يؤتى بالمتصدق، فينصب للحساب، ثم يؤتى بأهل البلاء، فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينصب لهم ديوان، فيصب عليهم الأجر صبًا، حتى إن أهل

العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض، من حسن ثواب الله»(١) .

- و«الديوان»: موضع الحساب.

- «الصبر الجزيل الثواب»: هو الصبر الجميل، والذي لا يقارنه جزع ولا سخط على ما نزل من البلاء، أما السكون مع الجزع، فهو تصبر يرجى معه الوصول إلى منازل الصابرين.

* عن أبي سعيد، أن رسول الله ﷺ قال: «من يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر»(٢) .

* وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله: أي الناس أشد بلاءً؟، قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يُبْتَلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلباً

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» بسند جيد.

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم مطولاً.

اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رِقَّة ابتلاه الله على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[(١)].

- «الأمثل»: الأفضل.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«مثل المؤمن كمثل الزرع، لا تزال الرياح تفيئه، ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء. ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز، لا تهتز حتى تستحصد»[(٢)].

- «تفيئه»: تحركه.

- «تستحصد»: يحين حصادها.

* * *

(١) أخرجه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه، وابن حبان.

(٢) أخرجه مسلم، والترمذي.

الحث على كظم الغيظ

قال تعالى: ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٤)، فذكر ذلك في معرض المدح وخرَّج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث معاذ بن أنس الجهني عن النبي ﷺ قال: «من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه: دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء».

وخرَّج الإمام أحمد من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «ما تجرع عبد جرعة أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى». ومن حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «ما من جرعة أحبُّ إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد، ما كظم عبد لله إلا ملأ الله جوفه إيمانًا»، وخرَّج أبو داود معناه من رواية بعض الصحابة عن النبي ﷺ وقال: «ملأه الله أمنًا وإيمانًا».

* ورُوي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون، وقال ميمون بن مهران: جاء رجل إلى سلمان فقال: يا أبا عبد الله أوصني، قال: لا تغضب، قال: أمرتني أن لا أغضب وإنه ليغشاني ما لا أملك، قال: فإن غضبت فاملك لسانك ويدك[1].

ـ وملك لسانه ويده هو الذي أشار إليه النبي ﷺ بأمره لمن غضب أن يجلس ويضطجع، وبأمره له أن يسكت.

* قال عمر بن عبد العزيز: قد أفلح من عصم عن الهوى والغضب والطمع. وقال الحسن: أربع من كن فيه عصمه الله من الشيطان وحَرَّمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة، والشهوة والغضب. فهذه الأربع التي ذكرها الحسن هي مبدأ الشر كله:

---

(١) خرجه ابن أبي الدنيا.

فإن «الرغبة»: في الشيء هي ميل النفس إليه لاعتقاد نفعه، فمن حصل له رغبة في شيء حملته تلك الرغبة على طلب ذلك الشيء من كل وجه يظنه موصلاً إليه، وقد يكون كثيرًا منها محرمًا، وقد يكون ذلك الشيء المرغوب فيه محرمًا.

- و«الرهبة»: هي الخوف من الشيء، وإذا خاف الإنسان من شيء تسبب في دفعه عنه بكل طريق يظنه دافعًا له، وقد يكون كثير منها محرمًا.

- و«الشهوة»: هي ميل النفس إلى ما يلائمها وتلتذ به، وقد تميل كثيرًا إلى ما هو محرم كالزنا والسرقة وشرب الخمر، وإلى الكفر والسحر والنفاق والبدع.

- و«الغضب»: هو غليان دم القلب طلبًا لدفع المؤذي عنه خشية وقوعه أو طلبًا للانتقام ممن حصل له منه الأذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من الأفعال المحرمة: كالقتل والضرب وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال

المحرمة: كالقـذف والسب والفحش، وربما ارتقى ـ والعياذ بالله ـ إلى درجة الكفـر، وكالأَيْمان التي لا يجوز التـزامها شرعًا، وكطلاق الزوجة.

والواجب على المؤمن أن تكون شـهوته مقـصورة على طلب ما أباحه الله له وربما تناولها بنية صالحة فأثيب عليها، وأن يكون غضبه دفعًا للأذى في الدين له أو لغيره وانتقامًا، كمن عصى الله ورسوله كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ١٤-١٥).

وهذه كـانت حال الـنبي ﷺ، فإنه كـان لا ينتـقم لنفـسه، ولكن إذا انتـهكت حرمـات الله، لـم يقم لغضـبه شيء، ولـم يضرب بيده خـادمًا ولا امرأة إلا أن يجاهد في سبيل الله.

* عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟، قال: «لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[1]، فرفعت رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني فيما شئت، وإن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقلت: بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[2].

(١) قرن الثعالب: وكان يحرم منه الحجاج من أهل نجد.

(٢) متفق عليه.

- «الأخشبان»: الجبلان المحيطان بمكة، والأخشب هو الجبل الغليظ.

وخدمه أنس عشر سنين فما قال له: أُنَّى قط، ولا قال له لشيء فعله: لم فعلت كذا، ولا لشيء لم يفعله: ألا فعلت كذا، وفي رواية أنه كان إذا لامه بعض أهله قال ﷺ: «دعوه فلو قُضي شيء كان».

* وفي رواية للطبراني قال أنس: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما دريت شيئًا قط وافقه ولا شيئًا خالفه، رضى من الله بما كان.

وسُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»، يعني أنه كان يتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه، فما مدحه القرآن كان فيه رضاه، وما ذمه القرآن كان فيه سخطه. وجاء في رواية عنها قالت: «كان خُلُقه القرآن، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه».

وكان ﷺ لشــدة حيائه لا يواجــه أحدًا بما يكره بل تعرف الكراهة في وجهه، كما فـي الصحيح عن أبي سعيد الخدري قال: «كان النبي ﷺ أشــد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه». ولما بلغه ابن مسعـود قول القائل: هذه قسمة مـا أريد بها وجه الله، شقَّ عليه ﷺ وتغـير وجهـه وغضب، ولم يزد على أن قال: «لقد أوذي موسى بأكثر من هذا فصبر»، وكان ﷺ إذا رأى أو سمع ما يكرهه الله ـ عزَّ وجلَّ ـ غضب لذلك، وقال فيه ولم يسكت.

وخـرَّج الطبراني من حـديث أنس مـرفوعًـا: «ثلاث من أخلاق الإيمان: من إذا غضب لم يدخله غضبه في باطل، ومن إذا رضي لم يخرجه رضاه من حق، ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له».

※ وقـد رُوي عن النبي ﷺ: أنه أخبـر عن رجلين ممن كان قبلنا كـان أحدهما عابدًا وكان الآخر مـسرفًا على نفسه، وكـان العابد يعظه فلا ينتهي، فـرآه يومًا على ذنب

استعظمه، فقال: والله لا يغفر الله لك، فغفر الله للمذنب وأحبط عمل العابد. وقال أبو هريرة: لقد تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته، فكان أبو هريرة ﷺ يحذر الناس أن يقولوا مثل هذه الكلمة في غضب، وقد خرَّجه الإمام أحمد وأبو داود. فهذا غضب لله ثم تكلم في حال غضبه بما لا يجوز، وحتَّم على الله بما لا يعلم فأحبط الله عمله، فكيف بمن تكلم في غضبه لنفسه ومتابعة هواه بما لا يجوز.

وفي صحيح مسلم عن عمران بن حصين: أنهم كانوا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة، فضجرت، فلعنتها، فسمع النبي ﷺ، فقال: «خذوا متاعها ودعوها»، وفيه أيضًا عن جابر قال: سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ورجل من الأنصار على ناضح[1] له فتلدّن[2] عليه بعض التلدّن، فقال له: سر

(١) الناضح: يطلق على كل بعير، ونضح الفرس عَرَق، ونضح العرق خرج.
(٢) لَدَّ: يلَدَّ لددًا من باب تعب.

يلعنك الله، فقال رسول الله ﷺ: «انزل عنه، فلا يصحبنا ملعون، لا تدعوا على أنفسكم ولا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم. لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم»، فهذا كله يدل على أن دعاء الغضبان قد يجاب إذا صادف ساعة إجابة، وإنه ينهى عن الدعاء على نفسه وأهله وماله في الغضب.

* ومن هديه ﷺ في: ﴿الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾: أنه بعد أن حزن حزنًا شديدًا لمقتل عمه حمزة وبكاه كثيرًا حتى لقبه بسيد الشهداء، إلا أنه ﷺ عندما رأى (وحشي بن حرب) قاتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد، قال له ـ وكان قد أسلم ـ: «أنت وحشي؟»، قلت: نعم، قال: «أنت قتلت حمزة؟»، قلت: قد كان من الأمر ما بلغك، قال: «فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني؟»، قال: فخرجت.. الحديث[1].

---

(١) رواه البخاري.

* وفيه عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة نجد فلما أدركته القائلة وهو في واد كثير العضاه، فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه فتفرق الناس في الشجر يستظلون، وبينما نحن كذلك إذ دعانا رسول الله ﷺ فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يديه، فقال: «إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي، فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترط صلتًا»، قال: من يمنعك مني؟ قلت: «الله»، فشامه[1] ثم قعد فهو هذا ولم يعاقبه رسول الله ﷺ.

---

(١) فشامه: أي غمده.

الحلم والإناءة والرفق
ثلاثية المحبة في طريق الدعوة

يقول تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥)، أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر ﷺ: ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، والمعنى: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك والحنو عليك، حتى يصير وكأنه صديق حميم، أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك.

ويذكرنا ذلك بأخ لنا سائق سابه آخر وانهال عليه من الشتائم نتيجة لخطأٍ غير متعمد، فالتزم الأخ المسلم بآداب الإسلام ولم يرد، وتمر الأيام ويلتقي الاثنان في إحدى الاستراحات، ودهش هذا الأخ بذاك الذي يطيل النظر إليه

ثم يقترب منه ليُوفه ويُذكره بتلك الحادثة ثم يعتذر إليه آسفًا عما بدر منه، بل ويلتقيان سويًا تحت مظلة الإسلام على مائدة الغداء، هكذا يكون الحلم والأناة والرفق ثلاثية المحبة في طريق الدعوة.

﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا﴾ أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشق على النفوس، ﴿وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة، وكما قال تعالى: ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ (الشورى:٤٣).

* وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأشجِّ عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة».

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله»[1].

---

(١) متفق عليه.

* وعنها أن النبي ﷺ قال: «إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»[١].

* وعنها أن النبي ﷺ قال: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٢].

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بال أعرابي[٣] في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبي ﷺ: «دعوه وأريقوا على بوله سَجْلاً من ماء - أو ذنوبًا من ماء - فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين»[٤].

---

(١)، (٢) رواهما مسلم.

(٣) الأعراب: هم سكان البادية الذين لم يتعودوا الحياة في المدن، ولذلك كانوا يأتون بأعمال يكرهها سكان المدن، وتجب الإشارة هنا إلى التفريق بين العرب، والأعراب، لما يستغله البعض في التضليل خاصة عندما ساءت العلاقة بين مصر والدول العربية في أعقاب الصلح مع اليهود.

(٤) رواه البخاري.

- «السَّجْل»: فتح السين، وإسكان الجيم، وهي الدلو المملتئة ماء وكذلك الذَّنوب.

* وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا»[1].

* وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من يحرم الرفق يُحرم الخير كله»[2].

* وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يُحَرَّم على النار ـ أو بمن تحرم عليه النار ـ تحرم على كل قريب هين لين سهل»[3].

فضيلة الحلم:

الحلم صفة نفسية يقتدر بها الإنسان على حبس النفس والتحكم فيها عند الغضب، ولا يكتسبها إلا أصحاب

(١) متفق عليه. (٢) رواه مسلم.
(٣) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

الإرادة القوية، فإن الإنسان بطبيعته إذا ما ارتكب ضده عمل ضار به، أو سمع قولاً يبعث على الغضب ثارت عواطفه، وتوترت نفسه، فاندفع للانتقام، وهنا تجيء صفة الحلم لتحول دون هذه النزعات الشيطانية، وعلى ذلك جاءت آيات القرآن الكريم لتؤكد هذا المعنى، وتبين أن مقابلة السيئة بالحسنة من أعظم الوسائل التي تجمع بين قلوب الناس وتوطد العلاقة بينهم.

ولقد بلغ الرسول ﷺ في صفة الحلم غاية الكمال وضرب أروع الأمثلة في الوقار والتثبت وعدم التسرع بمقابلة الإساءة بمثلها، والآثار الصحيحة في حلمه ﷺ مستفيضة ومشهورة[١]، ولا أدل على تمكين هذه الصفة من نفس رسول الله ﷺ وأصالتها في خلقه من أنها

---

(١) منها حلمه وصبره عندما بلغه قول الأنصاري: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله، فتغير وجه الرسول ﷺ وغضب ثم قال: **«أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر»**.

عمت الجميع حتى شملت أعداءه فكانت سببًا في إسلام الكثير منهم.

واعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ، لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلُّم، أي: تكلف الحلم، ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه، ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة، ولكن إذا تعود ذلك مدة، صار ذلك اعتيادًا، فلا يهيج الغيظ، وإن هاج، فلا يكون في كظمه تعب، وهو الحلم الطبيعي، وهو دلالة كمال العقل واستيلائه، وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل، ولكن ابتداؤه التحلم وكظم الغيظ تكلفًا، وفي الحديث: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحرَّ الخير يعطه، ومن يتوقَّ الشر يوقه»، إشارة إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولاً وتكلفه، كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم.

* وعن الحسن، في قوله تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ (الفرقان: ٦٣) قال: حلماء، إن جُهل عليهم لم

يجهلوا. وعن مجاهد في آية: ﴿وإذا مرُّوا باللَّغْوِ مرُّوا كراماً﴾ (الفرقان: ٧٢)، أي: إذا أوذوا صفحوا، وقال أكثم: دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر، وقال معاوية: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم.

* وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم». وعن علي رضي الله عنه: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى».

* وقال معاوية لعمرو بن العاص: أي الرجال أسخى؟، قال: من بذل دنياه لصلاح دينه، وقال معاوية لعرابة: بم سدت قومك؟، قال: كنت أحلم عن جاهلهم، وأعطي سائلهم، وأسعى في حوائجهم، فمن فعل مثل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل مني، ومن قصر عني فأنا خير منه.

※ وقال أنس بن مالك في قوله تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥)، هو الرجل يشتمه أخوه فيقول: إن كنت كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنت صادقًا غفر الله لي.

※ وقال رجل لجعفر بن محمد: إنه وقع بيني وبين قوم منازعة في أمر، وإني أريد أن أتركه، فأخشى أن يُقال لي: إن تركك له ذل، فقال جعفر: إنما الذليل الظالم.

※ وقال محمود الوراّق:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وإن كثرت منه عليَّ الجرائم

وما الناس إلا واحد من ثلاثة
شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف قدره
وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فإنه قال صنت عن
إجابته عرضي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زل أو هفا
تفضلت إن الفضل بالحلم حاكم

* وقال لقمان: ثلاثة لا يعرفون إلا عند ثلاثة: لا يعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا عند الحرب، ولا الأخ إلا عند الحاجة إليه.

* وجاء غلام لأبي ذر وقد كسر رجل شاة له، فقال له: من كسر رجل هذه؟ قال: أنا فعلته عمداً لأغيظك، فتضربني، فتأثم، فقال: لأغيظن من حرضك على غيظي، فأعتقه.

* ودخل عمر بن عبد العزيز المسجد ليلة في ظلمة، فمر برجل نائم فعثر به، فرفع رأسه، وقال: أمجنون أنت؟، فقال عمر: لا، فَهَمَّ به الحراس، فقال عمر: مه، إنما سألني أمجنون؟، فقلت: لا.

* وقال رجل لوهب بن منبه: إن فلانًا شتمك، فقال: ما وجد الشيطان بريداً غيرك!

فضيلة الرفق:

* عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه، ومن وَلِيَ من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به»[1].

اعلم أن الرفق محمود ويضاده العنف والحدة، والعنف نتيجة الغضب والفظاظة، والرفق واللين نتيجة حسن الخلق والسلامة، ولا يحسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب، وحفظها على حد الاعتدال، ولأجل هذا أثنى رسول الله ﷺ على الرفق وبالغ فيه، وقال ﷺ: «إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق»[1].

* وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف».

---

(١) رواه أحمد بسند جيد.

وسر الترغيب في الرفق والثناء عليه؛ هو كون الطباع إلى العنف والحدة أميل، وإن كان العنف في محله حسنًا، فإن الحاجة قد تدعو إليه ولكن على الندرة، والكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف، فيعطي كل أمر حقه.

ومن الآثار:

* قال عمر بن عبد العزيز: جاء عن عمرو بن العاص أنه كتب إلى معاوية يعاتبه في التأني، فكتب إليه معاوية: أما بعد ـ فإن التفهم في الخير زيادة رشد، وإن الرشيد من رشد عن العجلة، وإن الخائب من خاب عن الأناة، وإن المتثبت مصيب، أو كاد أن يكون مصيبًا، وإن العَجِل مخطئ، أو كاد أن يكون مخطئًا، وإن من لا ينفعه الرفق، يضره الخُرْق، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي.

* وقال أبو حمزة الكوفي: لا تتخذ من الخدم إلا ما لابد منه، فإن مع كل إنسان شيطانًا، واعلم أنهم لا يعطونك بالشدة شيئًا، إلا أعطوك باللين ما هو أفضل منه.

وبلغ عمربن الخطاب ﷺ أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله، فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس، أيتها الرعية: إن لنا عليكم حقًا، النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، أيتها الرعاة: إن للرعية عليكم حقًا، فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم الإمام ورفقه، وليس جهل أبغض إلى الله، ولا أعم من جهل إمام وخُرْقه[1]، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق بالعافية ممن هو دونه».

* وقال الحسن: إن المؤمن وقَّاف متأنٍّ وليس كحاطب ليل.

ـ فهذا ثناء أهل العلم على الرفق، وذلك لأنه محمود ومفيد في أكثر الأحوال وأغلب الأمور.

---

(١) خرق: بضم الخاء وسكون الراء، خرق بالشيء من باب قرب إذا لم يعرف عمله بيده فهو أخرق، أي: إذا عمل شيئًا فلم يرفق فيه.

وحينما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة، عرف أنه ما من حكومة رشيدة إلا وتقيم قوائمها على العدل، فكان أول ما فعله أن نحَّى الولاة الظلمة، واختار قضاته من العلماء بما في كتاب الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، وبما مضت به السنة، وبمن اتصفوا بالحلم والعفاف والمشاورة وعدم الاستبداد بالرأي، ولم يتركهم دون توجيه، بل كتب إليهم كتابًا بيَّن لهم فيه أصول الحكم، فقال: إذا حضرك الخصم الجاهل فمن قدر الله أن يوليك أمره وأن تُبتلى به، فرأيت منه سوء نزعة وسوء سيرة فسدِّدْه ما استطعت وبصِّره وارفق به وعلمه، فإن اهتدى وأبصر وعَلِمَ كانت نعمة من الله وفضلاً، وإن هو لم يبصر ولم يعلم، كانت حجة اتخذت بها عليه، فإن رأيت أنه أتى ذنبًا استحل فيه عقوبة فلا تعاقبه بغضب من نفسك عليه، ولكن عاقبه وأنت تتحرى الحق في قدر ذنبه بالغًا ما بلغ وإن لم يبلغ ذلك إلا قدر جلدة واحدة تجلده إياها، وإن كان ذنبه فوق ذلك ورأيت عليه من العقوبة في ذلك قتلاً فما دونه فأرجعه إلى السجن

ولا يسرعن بك إلى عقوبته حضور من يحضرك، فإنه لعمري ربما عاقب الإمام لمحضر جلسائه ولتأديب أهل بلده ولتغامزهم به.

* جاءه رجل من مصر ينازعه في أرض له، ويدعي أن أباه عبد العزيز قد استولى عليها دون مقابل عندما كان واليًا على مصر، وألقى سمعه إلى المصري، فلو كانت الأرض له وحده لأعطاها للمصري عن طيب خاطر، ولكنها ميراث له ولإخوته، فقال أمير المؤمنين في لين: إن لي فيها شركاء إخوة وأخوات، وهؤلاء لا يرضون أن أردَّ لك الضيعة بغير القضاء، والرأي أن تذهب إلى القاضي، واستمع القاضي للمتخاصمين، فقضى للمصري، فقال عمر: قد أنفقنا عليها ألف درهم، فنظر القاضي فإذا عمر وأهله قد أخذوا من غلتها بقدر ما أنفقوا، فقال: قد أخذتم منها بقدر ما أنفقتم عليها فردوها لصاحبها، فقال عمر في استبشار: بارك الله عليك أيها القاضي، وقام فرد الأرض للمصري.

العفو والتواضع والإحسان

* عن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عقبة، ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟. تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك».

اعلم أن معنى العفو: أن يستحق حقًا فيسقطه ويبرئ عنه من قصاص أو غرامة، قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

ومن الآثار:

عن الحسن البصري ـ رحمه الله ـ: أنه دخل على أمير يعرض له بالعفو، فذكر الحسن قصة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته من بيعهم إياه وطرحهم له في الجب، فقال: «باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم»، وذكر ما لقي من كيد النساء ومن الحبس، ثم قال: أيها الأمير ماذا صنع الله به؟، أداله

منهم ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع حين أكمل له أمره وجمع له أهله، قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (يوسف:٩٢)، فعفا ذلك الأمير.

* وعن ابن مسعود: أنه سرقت له دراهم، فجعلوا يدعون على من أخذها، فقال لهم: اللهم إن كان حملته على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه.

* وقال معاوية: عليكم بالحلم والاحتمال، فإذا أمكنتكم الفرصة فعليكم بالصفح والإفضال.

ومن الآثار:

* عن ابن عمر عن أبي بكر رضي الله عنه جميعًا، قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر مناديًا يوم القيامة، فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم، فيقوم أهل العفو، فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس.

* وعن مبارك بن فضالة، قال: وفد سوار بن عبد الله في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر المنصور، قال: وكنت عنده، إذ أتى برجل، فأمر بقتله، فقلت: يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر؟!، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا أحدثك حديثًا سمعته من الحسن، قال: وما هو؟، قلت: سمعته يقول: إذا كان يوم القيامة جمع الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، فيقوم منادٍ فينادي: من له عند الله يد فليقم، ولا يقوم إلا من عفا، فقال أبو جعفر: والله لقد سمعته من الحسن؟!، فقلت: والله لسمعته منه، فقال: خَلَّينا عنه.

* وجاء أن سارقًا دخل خباء عمار بن ياسر رضي الله عنهما بصِفِّين، فقيل له: اقطعه، فإنه من أعدائنا، فقال: بل أستر عليه، لعل الله تعالى يستر عليَّ يوم القيامة.

* وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزًا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»[(١)].

وفي صحيح مسلم: عن عياض المجاشعي قال: قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم خطيبًا، فقال: «إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد».

* وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: العزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحدًا منهما عذبته».

* وعن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا،

---

(١) رواه مسلم.

قال: «إن الله ـ عز وجل ـ جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق».

وفي الآثار الصحيحة:

* أنه حينما نزل قول الله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: ١٩٩)، سأل ﷺ جبريل عليه السلام عن معنى ذلك، فقال له جبريل: حتى أسأل العليم ـ أي: الله سبحانه وتعالى ـ، ثم ذهب وأتاه فقال له: يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك[1].

والآثار الصحيحة في عفوه ﷺ مستفيضة ومشهورة:

* عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، ولا صخَّابًا في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، ولكن يعفو ويصفح»، وإذا كان هذا قول

---

(١) تفسير القرطبي (٧/ ٣٤٥).

عائشة رضي الله عنها وإخبارها عن حلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعفوه فإننا لنجد كلامها هذا واقعًا فعليًا في سلوك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه بل ومع أعدائه أيضًا.

* فعن أنس رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجبذه جبذة حتى رأيت صُفح - أو صفحة - عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، فقال: يا محمد، أعطني من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعطاء.

* ورُوي عن عبد الله رضي الله عنه قال: قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الأنصار: والله إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله، قلت: ألا لأقولن للنبي صلى الله عليه وسلم، فأتيته وهو في أصحابه فسارته، فشق عليه وتغير وجهه، وغضب، حتى إني وددت أني لم أكن أخبرته، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر».

وهذه صورة أخرى ربما كانت أقسى من الأولى التي رواها أنس، ومع ذلك فقد كان حلم رسول الله ﷺ فيها أوسع وصَفْحُه وإحسانه أكبر، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا ثم قام فقمنا، فنظرت إلى أعرابي قد أدركه فجبذه بردائه فحمَّر رقبته وكان رداؤه ﷺ خشنًا، فالتفت النبي ﷺ فقال له الأعرابي: احمل لي على بعيري هذين، فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك، فقال النبي ﷺ: «**لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله، لا وأستغفر الله، لا أحمل لك حتى تُقيدني**[1] **من جبذتك التي جبذتني**»، فكل ذلك يقول له الأعرابي: والله لا أقيدكها، فلما سمعنا قول الأعرابي أقبلنا إليه سراعًا، فالتفت إلينا النبي ﷺ، فقال: «**عزمت على من سمع كلامي ألا يبرح مكانه حتى آذن له**»، ثم دعا رجلاً فقال له:

---

(١) تقيدني: أي تمكنني من أن أقتصَّ منك بمثلها.

«احمل له على بعيريه هذين، على بعير شعيرًا، وعلى الآخر تمرًا»، ثم التفت إلينا، وقال: «انصرفوا على بركة الله»[(١)].

التواضع

من الوسائل المفيدة في دفع الغضب، والحد من الانفعالات المذمومة، وهو من الصفات الحميدة التي تدل على علو الهمة، وأصالة النفس، وقد كان رسول الله ﷺ في المرتبة الأولى في ذلك كله.

* روى أحمد والبيهقي أنه ﷺ خُيِّر بين أن يكون نبيًا ملكًا، ونبيًا عبدًا، فاختار أن يكون نبيًا عبدًا، فقال له إسرافيل عند ذلك: فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له، أنك سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من تنشق الأرض عنه للبعث، وأول شافع[(٢)]، ومع ما آتاه الله من التقدم

(١) رواه الشيخان وأبو داود.

(٢) «شرح الشفا» (١/ ٢٨٨).

والإمامة، والفضل على الأنبياء فقد كان يكره أن يفضله أحد على أنبياء الله وأن يناديه أحد بلفظ التفضيل عليهم فهذا رجل من المسلمين يناديه فيقول: يا خير البرية، فرد عليه ﷺ متواضعًا بقوله: «ذاك إبراهيم»[(١)].

وورد أنه استب مسلم ويهودي، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فلطمه المسلم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «لا تفضلوا بين الأنبياء، ولا تخيروني على موسى...» الحديث[(٢)]، وإذا كان هذا حاله ﷺ في تواضعه لربه، وتواضعه مع إخوانه الأنبياء فلقد كان كذلك ﷺ مع أصحابه، استجابةً لقوله تعالى: ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ (الشعراء: ٢١٥).

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي.

(٢) رواه الشيخان، وأبوداود، والنسائي.

* فعن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت[1] النصارى عيسى ابن مريم عليه السلام، فإنما أنا عبد الله ورسوله».

* ومن تواضعه ﷺ مع أصحابه أنه كان يكره أن يتميز عليهم في المجلس أو في السير، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: مرَّ النبي ﷺ في يوم شديد الحر نحو بقيع الغرقد، قال: فكان الناس يمشون خلفه، فلما سمع صوت النعال وقر[2] ذلك في نفسه، فجلس حتى قدَّمهم أمامه لئلا يقع في نفسه من الكبر.

* وعن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئًا على عصا، فقمنا له تعظيمًا وتكريمًا، فقال: «لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يُعظم بعضهم

---

(١) الإطراء: هو المبالغة في الثناء والمدح، وأطرت النصارى عيسى أي: نسبته إلى الله تعالى.

(٢) وقر: ثقل حمله.

بعضًا»، وقال: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد. وأجلس كما يجلس العبد»[1].

* ودخل عليه رجل فأصابته رعدة، فقال له: «هوِّن عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»[2].

ومن صور تواضعه ﷺ تواضعه في بيته ومع أهله، فقد سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها: ما كان يصنع رسول الله ﷺ في بيته؟ فقالت: «كما يصنع أحدكم، يخصف[3] نعله». ومن حديث آخر، قالت: «ويحلب شاته، ويخدم نفسه، ويكون في حاجة أهله» أي يساعدهم.

وإذا كان هذا شأنه ﷺ مع أهله، فلقد كان كذلك متواضعًا مع خدمه ومع الفقراء والمساكين، وحتى الإماء،

(١) رواه أبو داود في «السنن».

(٢) **القديد**: اللحم المجفف.

(٣) **يخصف نعله**: أي: يرقعه ويخيطه.

فلقد كان يزور أصحابه ويخالطهم - أي: يمازحهم -، ويلاعب صغارهم، ويعول المساكين من المرضى، ويجالس الفقراء، بل ويفضل مجالسهم على غيرهم، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه مختلطًا، فلا يتحيز مجلسًا يترفع عليهم، بل يجلس حيث انتهى به المجلس.

حسن الخلق وبيانه

الخلق هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال الإرادية الاختيارية، من حسنة وسيئة، وجميلة وقبيحة، وهي قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها، فإذا ما ربيت هذه الهيئة على إيثار الفضيلة والحق، وحب المعروف، والرغبة في الخير، وروِّضت على حب الجميل، وكراهية القبيح، وأصبح ذلك طبعًا لها تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة، ودون تكلف قيل فيه: خلق حسن.

ونعتت تلك الأفعال الجميلة الصادرة عنه بدون تكلف بالأخلاق الحسنة، وذلك كخلق الحياء، والحلم، والأناة، والصبر والتحمُّل، والكرم والشجاعة، والعدل والإحسان، وما إلى ذلك من الفضائل الخُلقية، والكمالات النفسية، كما أنها إذا أُهملت فلم تهذب التهذيب اللائق بها، ولم يُعن بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها، أو رُبِّيت تربية سيئة

حتى أصبح القبيح محبوبًا لها والجميل مكروهًا عندها، وصارت الرذائل، والنقائص من الأقوال والأفعال تصدر عنها بدون تكلف، قيل فيها: خلق سيئ، وسميت تلك الأقوال والأفعال الذميمة التي تصدر عنها بالأخلاق السيئة، وذلك كالخيانة والكذب، والجزع والطمع، والجفاء والغلظة، والفحش، والبذاء وما إليها.

ومن هنا نوَّه الإسلام بالخلق الحسن ودعا إلى تربيته في المسلمين، وتنميته في نفوسهم، واعتبر إيمان العبد بفضائل نفسه، وإسلامه بحسن خُلُقه، وأثنى الله تعالى على نبيه بحسن خلقه، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وأمره بمحاسن الأخلاق، فقال: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤)، وجعل الأخلاق الفاضلة سببًا تنال به الجنة العالية، فقال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣-١٣٤)، وبعث رسوله ﷺ بإتمامها فقال ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[١].

آراء السلف في بيان حسن الخلق:

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم، فقال: «البر حسن الخلق. والإثم ما حاك في صدرك، وكرهت أن يطلع عليه الناس»[٢].

وروى الترمذي عن عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله ـ: في تفسير حسق الخلق، قال: هو طلاقة الوجه وبذل المعروف وكف الأذى.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه مسلم.

* وقال الحسن: حسن الخلق بسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى.

* وقال عبد الله بن المبارك: حسن الخلق في ثلاث خصال: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة على العيال.

* وقال آخر: حسن الخلق كف الأذى، واحتمال المؤمن.

* وقال آخر: حسن الخلق أن يكون من الناس قريبًا، وفيما بينهم غريبًا.

* وقال آخر: حسن الخلق أن لا يكون لك هم غير الله تعالى.

* وقالوا في علامة ذي الخلق الحسن: أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، برًا

وصولاً، وقوراً، صبوراً شكوراً، راضياً حليماً، وفياً عفيفاً، لا لعّاناً ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً، ولا حقوداً، ولا بخيلاً، ولا حسوداً، بشاشاً هشّاشاً، يحب في الله ويبغض في الله، ويرضى في الله ويسخط لله.

وهذا تعريف منهم لذي الخلق الحسن ببعض صفاته.

في الحديث: «حسن الخلق هو أن لا تغضب إن استطعت»، وقوله ﷺ لمن استوصاه: «لا تغضب»، يحتمل أمرين:

احدهما ـ أن يكون مراده الأمر بالأسباب التي توجب حسن الخلق من الكرم والسخاء، والحلم والحياء، والتواضع والاحتمال، وكف الأذى والصفح، والعفو، وكظم الغيظ، والطلاقة، والبِشر، ونحو ذلك من الأخلاق الجميلة، فإن النفس إذا تخلقت بهذه الأخلاق وصارت لها عادة، أوجب لها ذلك دفع الغضب عند حصول أسبابه.

والثاني ـ أن يكون المراد: لا تعمل بمقتضى الغضب إذا حصل لك بل جاهد نفسك على ترك تنفيذه والعمل بما يأمر به، فإن الغضب إذا ملك شيئًا من بني آدم كان الآمر والناهي له، ولهذا المعنى قال الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب﴾ (الأعراف: ١٥٤)، إذا لم يمتثل الإنسان ما يأمره به غضبه وجاهد نفسه على ذلك اندفع عنه شر الغضب، وربما سكن غضبه وذهب عاجلاً، وكأنه حينئذٍ لم يغضب.

فضل محاسن الأخلاق:

بيَّن ﷺ فضل محاسن الأخلاق في غيرما قول:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذيء»[1].

ـ «والبذيء»: هو الذي يتكلم بالفحش، ورديء الكلام.

---

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، قال: «تقوى الله، وحسن الخلق»، وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الفم والفرج»[1].

* وعنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا. وخياركم خياركم لنسائهم»[2].

* وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «إن من خياركم أحسنكم أخلاقًا»[3].

* وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا جاءكم من ترضون خُلقه ودينه فزوجوه».

* وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن المؤمنين ليُدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم»[4].

---

(١)، (٢) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) متفق عليه. (٤) رواه أبو داود.

❁ وقال: «إن العبد يبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة»[١].

❁ وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة، لمن ترك المراء وإن كان محقًا، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحًا، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُن خلقه»[٢].

- «الزعيم»: الضامن والكفيل.
- «المراء»: المخاصمة والجدال.

❁ وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا، وإن من أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيهقون»، قالوا: يا رسول

(١) رواه الطبراني بسند جيد.
(٢) حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح.

الله، قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيقهون؟، قال: «المتكبرون»[(١)].

- «الثرثار»: هو كثير الكلام تكلفًا.

- «المتشدق»: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه.

- «المتفيهق»: أصله من الفهق، وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه ويُغرب به تكبرًا، وارتفاعًا وإظهارًا للفضيلة على غيره.

* وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إن أحبكم إليَّ: أحاسنكم أخلاقًا، الموطئون أكنافًا: الذين يألفون ويؤلفون، وإنَّ أبغضكم إليَّ: المشَّاؤون بالنميمة المفرِّقون بين الأحبة، الملتمسون للبرآء العيب»[(٢)].

- «الموطئون أكنافًا»: أي: الذين جوانبهم وطيئة: أي: ممهدة ومذللة فلا يتأذى بصحبتهم أحد.

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٢) رواه الطبراني.

ـ «يألفون ويؤلفون»: تألف القوم، أي: اجتمعوا وتحابوا، «ألفته»: أنست به وحببته.

ـ «البرآء»: هو البريء الذي سقطت عنه التهمة.

* وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، ولكن يسعهم منكم: بسط الوجه. وحسن الخلق»[1].

* وعن أنس: أن أم حبيبة قالت: يا رسول الله، المرأة يكون لها الزوجان في الدنيا فلأيهما تكون في الآخرة؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «لأحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا» ثم قال: «يا أم حبيبة: ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» وقد روي عن أم سلمة نحو هذا ـ والله أعلم ـ.

---

(١) رواه البزار والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة.

من وصايا لقمان الحكيم

قال لقمان لابنه: «ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن: لا يُعرف الحليم إلا عند الغضب، ولا الشجاع إلا في الحرب، ولا تعرف أخاك إلا عند الحاجة إليه».

وقال له أيضاً: «يا بني: إياك والكسل، والضجر، فإنك إن كسلت لم تؤدِّ حقًا، وإن ضجرت لم تصبر على حق».

وقال أيضًا: «إذا أردت أن تؤاخي أخًا فأغضبه، فإن أنصفك وهو مغضب، وإلا فاحذره».

جماع كمال الصفات

وهي خصال حميدة، تجمع كمال الصفات وحسن الخلق، يوصي بها النبي ﷺ أمته، تبعًا لما أوصاه الله تعالى بها، يقول ﷺ: «أوصاني ربي بتسع أوصيكم بهن:

- خشية الله في السر والعلانية.
- والعدل في الغضب والرضا.

- والقصد في الفقر والغنى
- وأن أصل من قطعني
- وأعطي من حرمني
- وأعفو عمن ظلمني
- وأن يكون صمتي فكراً
- ونطقي ذكراً
- ونظري عبرة»[1].

- «والقصد»: أي: الاعتدال.

---

(١) رواه رزين عن أبي هريرة.

كلمة الختام

وهكذا أخي المسلم: رأينا أن في الغضب ما هو محمود آتيًا في خير، فيجني صاحبه من ورائه الحسنات، ومنه ما هو مذموم، فتتناثر السيئات حول الغاضب بشر، فإذًا لا يستغني العبد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات التي اكتسبها بمباشرة حسنات تضاد آثارها تلك السيئات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود: ١١٤)، ففعل الخيرات يكفر الذنوب السالفة، وفي الحديث: «ما من مسلم يذنب ذنبًا فيتوضأ ويصلي ركعتين إلا غفر له».

* وروى الإمام أحمد حديث: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

* وكما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ

أولئك لهم عقبى الدار﴾ (الرعد: ٢٢)، ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ أي: يدفعون القبيح بالحسن، فإذا آذاهم أحد قابلوا بالجميل صبرًا واحتمالاً وصفحًا وعفوًا، كقوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم (٣٤) وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ (فصلت: ٣٤-٣٥).

وتذكر - أخي المسلم - أن من صفات المتقين: كظم الغيظ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين (١٣٣) الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ (آل عمران: ١٣٣-١٣٤)، أي: إذا قاربهم الغيظ كتموه فلم يعملوه وعفوا عمن أساء إليهم.

وفي الحديث: «عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار، فكثروا منهما. فإن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب،

وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون» .

فاحذر أخي المسلم ـ رحمني الله وإياك ـ، احذر وساوس الشيطان وإغواءه واحذره في تلبيسه، وتسويله، واحذره أشد الحذر عند الغضب، وتذكر قول الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٧٦) .

عفانا الله جميعًا من الوقوع في الزلل، وقوانا عند الغضب وأثقل ميزان حسناتنا يوم العرض عليه، وشملنا سبحانه بعفوه وكرمه ومغفرته، إنه نعم المولى، ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الكتب والمراجع

- القرآن الكريم.
- تفسير ابن كثير.
- مختصر تفسير الطبري.
- قصص الأنبياء.
- صحيح البخاري.
- اغاثة اللهفان.
- الوابل الصيب.
- جامع العلوم والحكم.
- الحلال والحرام في الإسلام.
- مختصر زاد المعاد.
- فقه السيرة (د/ محمد سعيد البوطي).
- مختصر منهاج القاصدين.
- موعظة المؤمنين.
- منهاج المسلم.
- صحيح مسلم (الجزء الثامن).
- الأحاديث القدسية.